

المصرية المكتفية بذاتها

غادة عامر

الرسامة التي تناضل من أجل النسوية

فاروق يوسف
كاتب عراقي

منذ أن أصبحت "النسوية" قضية تمتاز من خلالها الرغبة في تغيير المفاهيم الثقافية المتعلقة بالمجتمع بالاحتجاج السياسي في تحد واضح للسلطة الذكورية كثر عدد النساء اللاتي لم يعد مصطلح "فن المرأة" يسبب لهن أي شعور بالانزعاج والتمييز إذ لا يُقصد منه التقليل من قيمة أعمالهن الفنية كما كان يجري في الماضي. المصرية غادة عامر هي اليوم واحدة من فنانات الصف الأول اللواتي يرفعن لواء "النسوية" من خلال إصرارها الصارخ على استعمال تقنيات "منزلية" في تنفيذ أعمالها كالحياكة والتطريز.



غادة عامر هي اليوم واحدة من فنانات الصف الأول اللواتي

يرفعن لواء «النسوية» من خلال إصرارها الصارخ على استعمال تقنيات «منزلية» في تنفيذ أعمالها كالحياكة والتطريز

غير أن هناك جانباً آخر هو ما ميز فننها وجعله يستعري اهتمام المحافل الفنية والصالونات بل وحتى المتاحف. ذلك الجانب يتعلق بطريقتها الفاتنة في التعبير عن "الجنس" كونه اشتقاقاً من وعي المرأة لجسدها. ذلك ما أضفى على أعمالها طابع الاستفزاز الثقافي. بالرغم من أن فننها لا يمكن القبول به من قبل مجتمعات محافظة وهو في الأساس غير موجه إلى تلك المجتمعات.

الظاهرة التي تلحق بها الأسئلة

ما حظيت به تجربة عامر من اهتمام، هو من وجهة نظري مبالغ فيه، يسلط الضوء على جزء من البات عمل المؤسسات الفنية في عصرنا حيث لم يعد المدهش يرتبط بقوة العمل التعبيرية ولا قدرته على تغيير طريقة النظر إلى العالم من خلال رؤية

جمالية جديدة بقدر ما صار مرتبطاً بالفكر الصادمة التي يطرحها العمل وهو يعالج مشكلات تشغل الرأي العام باعتبارها خروجاً على ما هو سائد ومعترف به اجتماعياً.

على المستوى التقني وفي مجال اللجوء إلى استعمال الممارسة اليدوية التي كانت حكرًا دائماً على النساء هناك نماذج للفن النسوي متقدمة على تجربة عامر وسبققتها بأكثر من نصف قرن. أهمها تجربة الألمانية إيفا هيسه. غير أن زمن هيسه كما يبدو كان مختلفاً عن الزمن الذي صارت فيه غادة عامر أشبه بالظاهرة الفنية.

إضافة إلى أن اسمها قد أدرج في قائمة الفنانين الذين صارت المؤسسات الفنية تستدعيهم في كل معرض تقيمه للفنون المعاصرة فإن متاحف كثيرة حول العالم احتفت بها وبأعمالها، وهو ما يعني أن أي رأي نقدي يسعى إلى كشف الحقيقة لا يمكن أن يحظى بترحيب وقبول المؤسسات الفنية التي صارت للألسف تأخذ في نظر الاعتبار ما يجري في المزايدات لتحديد موقفها من الفنانين.

في خضم ذلك الوضع الملتبس يمكن القبول بفنانات من نوع تريسي أمين وشيرين نشات وغادة عامر، باعتبارهن ممثلات للفن في عصرنا بالرغم من أن وجود كيكي سمث وسندي شيرمان يكشف عن فجاجة وسطحية تلك القناعة. الدعاية بقوة حيلتها ستغلب.

لعبة الحب والإرهاب

ولدت عامر في القاهرة عام 1963. غادرت مصر إلى فرنسا وهي في سن الحادية عشرة. تخرجت من معهد فيلا ارسون بنيس بعد أن درست الرسم هناك. حصلت على شهادة الماجستير من المعهد نفسه، وكانت قد حصلت على منحة للتدريب الفني في مدرسة متحف الفنون الجميلة ببوسطن عام 1987. ثم انتقلت للعيش والعمل في الولايات المتحدة.

إضافة إلى معارضها التي أقامتها في نيويورك فقد أقامت معارض شخصية في لندن وكاليفورنيا وفرنسية الإسبانية ونيو مكسيكو وكانساس كما ساهمت بعروض خاصة في بينالي وبتني بنويويورك وبينالي فينيسيا

وبينالي جوهانسبرغ بجنوب أفريقيا ولم يخل معرض للفنون المعاصرة من عمل لها حيث تحتل أعمالها موقع الصدارة من اهتمامات القيمين في المتاحف.

صحيح أن عامر عُرفت بطريقتها الخاصة في إنجاز لوحاتها غير أنها مارست فنون النحت والتجهيز والإنشاء والتصوير الفوتوغرافي والطباعة وتصميم الحدايق.

بالرغم من طغيان الفكر النسوي على أعمالها فإن عامر أنجزت أعمالاً انطوت على صلة صريحة بعالم السياسة كذلك التي أنجزتها بعد أحداث 11 سبتمبر 2011 التي تقدمها لوحاتها "لغة الإرهاب" التي سعت من خلالها ومن خلال ما تبعها من إنشاءات للتعبير عن الفكرة التي تضمنتها جملتها "لم تتم فهرسة الإرهاب في المعاجم العربية" والتي نقشتها على الأكواب والمناديل والصواني الملحقة بالعمل.

وعلى صعيد آخر فقد شاركت الفنانة في تأنيث "ساحة الحب" بنيومكسيكو عام 1999 بعمل هو عبارة عن كرسي حديقة وإلى جوارها وضعت لائحة

فعلته أيديهن وما حرك

في خيالهن عاطفة من نوع مختلف. عالم غادة عامر يتألف من نساء. لا نذكر للرجل. لا أثر ولا ظل ولا ماض ولا هامت. العالم امرأة. كل الصفات التي تظهر على سطوح لوحاتها والتي تخفي تحت تلك السطوح تشهر عن أنوثيتها الأحادية المجردة

من أي طابع للانجذاب إلى الرجل أو محاولة جذبها إليها. العكس يحدث دائماً. فالنظر يقع كما لو أنه يُمارس داخل غرفة مغلقة. العالم هو تلك الغرفة. الألوان الباردة تضيء على ذلك العالم الكثير من الهدوء والخفة والراحة. فليس ثم صراع. هناك فكرة قائمة على التآنيث. وهو ما يعني تجهيز العالم بانوثة فائضة. بحيث يشعر المرء أن لا شيء ينقص المشهد، بالرغم من أحاديته من جهة الجنس البشري.

ترسم عامر، أوعلى وجه الدقة، تخطيط أعمالها بعيداً عن أسطورة عالم النساء الوحيدات. فالمرأة في لوحاتها ليست

وحيدة حتى وإن ظهرت لوحدها. هناك ما يؤنسها وهو من صنعها. وهنا بالضبط يكمن النموذج المعاصر للمرأة المكتفية بذاتها. وهو نموذج يؤكد عليه الفكر النسوي من جهة كونه واحداً من أعظم الإنجازات السياسية في عصرنا.

إذا لم يقترب المرء من لوحات عامر فإنه لن يفهم شيئاً في ما يتعلق بالإسباب التي تقف وراء عرضها في أكثر المناسبات أهمية والتي تقام في أهم المتاحف والصالونات في العالم.

قيمتها في ما يرجح تكمن في نسويتها. ولأن تلك القيمة تقع خارج الفن فإنها ليست مؤكدة تاريخياً. ذلك الحكم يمكن أن يشمل أعمال فنانات وفنانين معاصرين طبقت شهرتهم الأفاق غير أن مصير أعمالهم لا يزال محط شك بالرغم من أن تلك الأعمال صارت تُباع بأسعار باهظة. وهو أمر محبط حقاً. ذلك لأن النقد الفني وقد مُنع من أن يقول كلمته قد يستعيد هيمنته على المشهد الفني فيهدمه ويفضح ما جرى من صفقات على حساب القيم الفنية الخالدة.

وهكذا فإن عامر تقف بغننها على الحافات.

ذلك موضوع شائك يمكنها القفز عليه ما دامت المتاحف والصالونات العالمية لا تزال تهتم بأعمالها باعتبارها فنانة لا يمكن الاستغناء عنها. إنها تقدم ما يستهوي خبراء تلك المتاحف والصالونات وهي موجودة لأن قيمي تلك المتاحف والصالونات ما زالوا يعملون على نشر الفنون المعاصرة والتبشير بها. وما كان ذلك يحدث لولا قوة المال التي تطبق على عالم الفن من كل الجهات.



عامر تعرف بطريقتها الخاصة بإنجاز لوحاتها، غير أنها تمارس فنون النحت والتجهيز والإنشاء والتصوير الفوتوغرافي والطباعة وتصميم الحدايق أيضاً

غادة عامر تناضل بفننها في عالم مجهول. لديها وهي التي تربت ودرست في الغرب من المعلومات ما يجعلها على دراية بكل شيء.

